القسم الأول

كلمات للمُحقِّق

المضمون

صفحة

رموز واصطلاحات ٩
الفاتحة ـ حفائر اللغة ـ آثار المستشرقين والمنقبين . . ١١
واجب الجيل الحاضر ١٢
تراثنا اللغوى ١٣
جمعه وترتيبه ١٣
كيف نشأت المعجمات ١٤
المقامات والمتداخل ١٦
أئمة المتداخل ومؤلفاتهم ١٨
موازنة بين المؤلفات الثلاثة ٢٠
أبو الطيب اللغوى ٢٢
النسخ التى اطلعنا عليها ٢٥
النسخة التى عولنا عليها ٣٤
مضمون «شجر الدر» ٣٥
طريقة أبى الطيب فى «شجر الدر» ٤٣
لماذا عنيت بهذا الكتاب ٤٩

بهذا يتم القسم الأول

ويليه القسم الثانى وهو متن «شجر الدر» والتعليق عليه

من صفحة ٥١

رموز واصطلاحات

با = نسخة مكتبة أباظة «باشا» (مكتبة الأزهر) .

ت = نسخة مكتبة تيمور «باشا» .

ز = نسخة مكتبة زكى «باشا»

س = نسخة الإمام السيوطى .

ط = نسخة مكتبة طلعت «باشا» .

قم = القاموس المحيط. .

ل = لسان العرب .

ل ١٥ /٣٣ = لسان العرب جزء ١٥ صفحة ٣٣ .

[ ] = ما بين الأقواس المربعة وارد بنسخة السيوطى .

( ) = ما بين الأقواس العادية وارد بالنسخ الأخرى .

ص = صفحة

هـ = هامش

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم لتوفيقك ، فوفقنا لحمدك ، حتى تزداد هدايتك . ونشكر لك دائم فضلك ، وجميل رعايتك ،ونصلى ونسلم على من آثرته بمعجزة الفرقان المبين . وعلى آله وعترته أجمعين .

حفائر اللغة :

هذه حفيرة من الحفائر اللغوية ، نحاول بها الكشف عن بعض الآثار القديمة العربية ، ونُغْرى بها المشتغلين بشئون اللغة ، كى يوجهوا بعض همهم إلى التنقيب عنها والتنقير عن ذخائرها . وإن النهوض بلغتنا العربية ، لغة الدين والقرآن ، ليتطلب إلى سَدَنتها ، والقائمين على حراستها ، والمنتسبين إلى جامعة العلم بها ـ أن يداوموا على استخراج أنابيشها ، واستصفاء معدنها ، وغربلة بُحَاثتها ، واستخلاص تِبْرها من تُرْبها ، ويقوموا بصهر صَفِيِّها ، وسبك نقيِّها ، للانتفاع به فى العمل على مسايرتها لركب الحضارة المستحدثة ، وتلبية مطالب المدنية ، التى تضرب بجرانها على العالم أجمع .

آثار المستشرقين والمنقبين :

ولقد كانت تعترينى الدهشة ، وتشملنى الحسرة ،عندما أرى آثار عناية المستشرقين بالبحث عن ذخائرنا العربية ، وتداول منتوجهم ، واتخاذ مصنفاتهم ، مراجع نعول نحن عليها فى النقل عنهم ، منتظرين نثار ما يقدمون من فتات ، فرحين به ، معجبين بدقته ، دون أن نجاريهم فى البحث ، أو نسبقهم فى الاطلاع .

ولكن نَفَّس عنى ، وفرَّج من كربتى ، ما نراه أخيرًا ، من آثار بعض المنقبين فى تراثنا اللغوى والعاكفين على تعبيد الطريق للانتفاع بتحفه .

ويشرفنى أن أدعو أبناء العربية ،لإنماء هذه القافلة ، وأهيب بحملة لوائها كى يغزوا جيوش الأَرَضَة ، وطبقات العناكب المخيمة على كثير من الكتب «الميّتة فى جلودها» والقابعة فى زوايا المكتبات المظلمة ، فيخرجوها إلى النور والشمس ، ويلبسوها ثوب الحياة .

واجب الجيل الحاضر :

تحتاج دراسة اللغة إلى تجريدة من الباحثين ، توزع طوائفها على فروع هذه الدراسة ، فتتفرغ كل طائفة لشعبة من شعبها ، وتتخصص للتعمق فيها.

ومن هذه الشعب : البحث عن أصل وضع الألفاظ. ، لأن التجوز فى استعمالها قد طغى على الحقيقة الأولى ، بل كاد يحجبها ويخفيها ، «وكثيرًا ما يقف الباحث والمنقب أمام بعض الألفاظ. موقف الحيرة والتردد ، إذا أراد أن يعتمد فى فهم معناها على أصل وضعها ، ثم يستنجد المعجمات ويستهديها ، فلا تنجده ولا تهديه ، ويستعرفها ويستوحيها ، فلا يجد فيها من الألفاظ. والمعانى إلا ضِلِ ابن ضِلِ ، وقِل ابن قِل[1] » .

وقد خطا قدائم المؤلفين خطوات موفقة فى هذه السبيل ، فوضعوا الكتب فى بيان العربى والمعرب ، والدخيل والمولد ، وما قاموا به من إشارة إلى الحقيقة والمجاز.

ومن هذا القبيل ما وضعوه للتحقيق والفرق ، فى بعض الألفاظ. التى يشيع فيها الخطأ ، أو يكثر فيها الخلط.[2]. وكذلك ألفوا الكتب فى الأضداد ، المترادف أو المشترك اللفظى ، الذى بنى عليه «المتداخل أو المسلسل» .

وكتاب «المزهر» للسيوطى قد يشير إلى كثير من الفروع الخاصة بدراسة

(١ ، ٢) انظر «البحاثة اللغوية» للمحقق ص ١ – ١٦

اللغة ، بما وضع من عنوانات لأبوابه المختلفة ، وإن لم يقصد إلى ما نريد قصدًا ، بل جاءت إشارته عفوًا ، لأنه نتش من كل كتاب نتشة ، ونتف من كل موضوع نتفة . فواجب الجيل الحاضر ، أن يُوسِع كلَّ فرع منها دراسة ، ويقتلَ كلَّ موضوع بَحْثاً . فقد أدى السلف ما عليهم ، وخلفوا لنا تراثاً نذكرهم به ، ونسأل لهم من الله عليه الجزاء الأوفى .

تراثنا اللغوى :

لقد ترك السلف من التراث اللغوى ما يحق لنا أن نفخر بكنوزه ، لأن بقاياه التى أبقى عليها الدهر ونسيتها الحوادث ، قدلا يوجد نظيرها عند أمة من الأمم ، أو فى لغة من اللغات .

غير أن كثيرًا من هذا التراث لا يزال مطمورًا مخبوءًا ، يحتاج إلى البحث عن دفينه ، والتنقيب عن ركازه .

وإذا كان السلف لم يقصر فى واجبه إزاء العمل على تدوين اللغة ، ولمّ شتاتها ، وجمع نثارها وما تفرق منها ، فالواجب على الخلف القيامُ بالكشف عن هذا التراث ، وأن يَنْشُوفوا صداً ما عثروا عليه منه .

وقد عُنى الأولون بكل ناحية من نواحى اللغة ، وبكل فرع من فروعها ، فجمعوا فيه ، وألّفوا من كتبه كل نادر وعجيب .

وقد بذل هؤلاء فى جمع متن اللغة ونظم مفرداتها — إبّان تدوين العلوم العربية فى القرون الأولى الهجرية — مجهودًا كبيرًا فى العناية به ، وافتنُّوا فى أشكاله وضروبه ، عفوًا كان ذلك أم قصدًا .

جمعه وترتيبه :

كان لاتساع رقعة الإسلام ، وكثرة الفتوح ، أثرهُما فى تدوين العلوم ،

وبالتالى فى الحاجة إلى جمع ألفاظ اللغة العربية ، حتى أصبح تحصيلُها ، والعلمُ بمفرداتها وأساليبها ، صناعةً أو حرفةً ؛ فمن العاملين فى هذه السبيل من لجأ إلى البادية يُشَافِهُ الأعراب ، ويقيد عنهم الحكايات والنوادر ، ويروى ما سمعه من ألفاظهم وعباراتهم ، ومنهم من لجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله ، يستخرج منهما غريب الألفاظ . ، ومنهم من راح يبحث عن مثل ذلك فى شعر الجاهلية وخَطَابتها وحِكَمِها وأمثالها ، حتى اجتمع لهؤلاء ثروة لغوية جديرةٌ بالتسجيل .

وهكذا دعت الضرورة إلى تدوين هذه المفردات والألفاظ . ، وسلكها فى سموط مختلفة ، يدور بعضها حول موضوع واحد ، يصف حيواناً أو نباتاً ، كالخيل والوحش ، والنخل والزرع ، أو ظاهرةً طبيعيةً ، كالأنواء والسحاب والمطر ، أو يتكلم فى الجبال والمعدنيات ، أو اللباس والطعام ، أو يُعْنَى بالملاهى والغناء إلخ . وبعضها يجمع أمثال هذا المتفرق ، ويوزعه فى أبواب خاصة ، تضم أشياء كثيرة ، وصنف ثالث يعمد إلى الألفاظ . ، يرتبها بحسب حروفها ، أول الكلمة أو آخرها ، فيضبطها ويشرحها ، ويفسرها ويوضح استعمالها .

كيف نشأت المُعْجَمَات[1] :

ولا بد للباحث المدقق من وقفة يقفها أمام هذا الجمع الحاشد من « المعجمات » المختلفة ، وكتب نظم المفردات و « تهذيب الألفاظ . »

(١) المعجم : اسم من أعجم الحروف ، أزال عجمتها وإبهامها ، أى نقطها . وقد سمى كل كتاب ترتب مواده على حروف المعجم أو الحروف الهجائية ، لهذا ، بالمعجم ، كما فى معجم الأدباء ومعجم البلدان ، وقد صار لفظ « المعجم » علماً بالغلبة على متون اللغة المرتبة على حسب الحروف الهجائية . إلا أنهم توسعوا فى إطلاق لفظ المعجمات على متون اللغة المرتبة ، لا على الألفاظ وحروف الهجاء فقط — بل على المعانى وأبوابها أيضاً ، كما فى « فقه اللغة للثعالبى » و « المخصص لابن سيده » وغيرهما . (ص ٥٣ من مدخل التذكرة فى فقه اللغة للمحقق) .

و « الألفاظ الكتابية » ، يبحث فيها عن نشأة هذا الفن ، فن مَتْن اللغة أو فن المُعْجَمات ، وكيف رُتبت ، والأطوار التى مرّتْ بها ، حتى وصلت إلى ما هى عليه .

والذى أرجحه أن يكون أسبق الأنواع إلى التأليف ، هو فى جمع مفردات الباب الواحد ، وضمها بعضها إلى بعض ، كما فى كتاب اللبأ واللبن لأبى زيد الأنصارى[١] وكما فى كتاب النبات والشجر ، وكتاب الخيل ، وكتاب الشاء ، وكتاب الدارات للأصمعى[٢] ، وكما فى كتاب الأنواء وكتاب النخل والزرع ، وكتاب البئر لابن الأعرابى[٣] ، وكما فى كتاب المطر والسحاب لابن دريد[٤] إلخ ؛ لأن هذا أبسط أنواع الجمع ، وهو أمر طبيعى ، دعت إليه الحاجة ، والخوف من ضياع اللغة ، وهو من السهولة بحيث لا يحتاج إلا إلى الحفظ والإلمام بأطراف الموضوع ، للوقوف على أجزائه ومسمياتها . ويطلق بعض المحدثين على هذ النوع من التأليف اسم الرسائل .

وفى الوقت الذى كان يشتغل فيه الرعيل الأول من جَمَعَة مفردات اللغة على النحو المذكور ، كان الخليلُ بنُ أحمد[٥] يفكر فى نظم المفردات بالنسبة لحروفها لا إلى معانيها ، فوضع كتابه المعروف بالعين ، على ما هو شائع ، ثم قفّى على آثاره كثير من المؤلفين فى هذا الصنف من المعجمات التى وضعت بترتيب الألفاظ ، والتى يصح أن نسميها « معجمات الألفاظ » وهى التى

(١) أبو زيد هو سعيد بن أوس الأنصارى البصرى ، توفى بالبصرة فى خلافة المأمون (١١٩ – ٢١٥ هـ) .

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك الباهلى (١٢٣ – ٢١٦ هـ) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفى (١٥٢ – ٢٣٢ هـ) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن دريد الأزدى ، صاحب الاشتقاق والملاحن والجمهرة وأدب الكتاب (٢٢٣ – ٣٢١ هـ) .

(٥) هو عبد الرحمن خليل بن أحمد البصرى ، أخذ عنه سيبويه وغيره من الأئمة (١٠٠ – ١٧٤ هـ) .

دعاها ابن سيده[١] «بالكتب المُجَنَّسَة»[٢] والتى كان منها «لسان العرب» و «القاموس المحيط.» والتى عرفت فيما بعد «عامة» بالقواميس[٣].

وقد دعت حاجة الكتَّاب، فى الدولة الإسلامية، عند إنشاء ديوان الكتابة أو الرسائل، إلى جمع ألفاظ. كتابية تجمع الألفاظ. الخاصة بمعنى من المعانى فى باب واحد، فكأنها مجموعةٌ من الكتب الأولى، التى وضعها الأصمعى وأضرابه، ومن هنا دونت «معجمات المعانى» أو ما سماها ابنُ سِيدَه أيضاً «الكتب المُبَوبَة»[٤] أمثال «تهذيب الألفاظ.» لابن السكيت[٥] و «فقه اللغة» للثعالبى[٦] و «المخصص» لابن سيده.

المقامات والمتداخل :

(١) ومن المؤلفات التى تشحن غالباً بالمفردات اللغوية ما يعرف بالمقامات «وقد تعرض لها بعض مؤرخى الأدب العربى وذكر أنها نوع من القصص. واختلفوا فى أول من أنشأها، وقالوا: المشهور أن الحريرى (٤٤٦ ـ ٥١٥ هـ) احتذى حذو بديع الزمان الهمذانى (٣٥٣ ـ ٣٩٣هـ) فى مقاماته، فيكون الثانى مبتدع المقامات. ولكن البحث الحديث رجح أن بديع الزمان نقل الفكرة عن ابن دريد اللغوى (٢٢٣ ـ ٣٣١ هـ) فيكون عمله

(١) هو الإمام أبو الحسن، على بن إسماعيل، الضرير ابن الضرير الأندلسى، صاحب المحكم والمخصص توفى سنة ٤٥٨ هـ.

(٢) راجع ص ١٠ و ١٢ من الجزء الأول من المخصص.

(٣) لما ألف الفيروزابادى معجمه اللغوى، ووضع له لفظة «القاموس» وجاء آخر من بعده، وسمى كتابه بالقاموس، أصبح لفظ القاموس علماً ـ بالعرف ـ على كتب اللغة المرتبة على حروف المعجم، مع أن معنى «القاموس» لغة، قاع البحر، أو معظمه. (ص ٥٣ من مدخل التذكرة فى فقه اللغة للمحقق).

(٤) ص ١٠ و ١٢ من المخصص لابن سيده جـ ١.

(٥) هو أبو يوسف يعقوب ابن السكيت صاحب كتاب إصلاح المنطق (١٨٦ ـ ٢٤٤ هـ).

(٦) هو أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ).

المقامات ، أصلا ، عملًا لغويًّا لا قصصيًّا »[١] وإنى أعتبرها ضَرْباً من الأدب اللغوى ، أو اللغة الأدبية ، إن صح هذا التعبير ، وخاصة مثل مقامات الحريرى[٢] . وهى بدون ريب طريقة من طرائق جمع اللغة ، وحيلة من حيل تحصيل مفرداتها وأساليبها ، وذلك على الرغم من اختلاف القوم فى أصلها ، واعتبارها من القصص فى نظر بعض المجتهدين كما رأيت .

(٢) هذا وقد دعا الافتنان فى جمع مفردات اللغة ، والتحايل على دراستها ، بطريق لا تورث الملل والسآمة ، إلى ابتكار فن جديد من التأليف ، عمد إليه بعض اللغويين ، لنظم المفردات فى سموط عجيبة ، يربط بين حَبَّاتها وشائجُ من المعانى اللطيفة ، تحمل القارئ على أن ينتقل من لفظة إلى أخرى ، على خيط دقيق من المعنى المشترك يجمع بينها . ذلك الفن الطريف هو ما دعوه « المُداخَل » أو « المتداخل » أو « المُسَلْسَل » .

وذلك بأن تذكر اللفظة ، ثم تفسر بلفظة ثانية ، وتفسر الثانية بثالثة ، والثالثة برابعة ، وهكذا حتى ينتهى الفصل ، ثم يُستأنَفُ الكلام بلفظة جديدة أو باللفظة الأولى ، وتفسر بأخرى وهكذا ، حتى تجتمع عدة فصول ، تطول وتقصر ، تبعاً للمادة ومعانيها المختلفة وقدرة المؤلف على حشد هذه المعانى وتسلسلها . وقد يستشهد المؤلف بالبيت أو شطره وبالبيتين أو المثلث أو المخمس من الأشطار ، على معنى من المعانى ، أو استعمال كلمة من الكلمات . وقد يلتزم ابتداء الباب بشعر يأخذ منه اللفظة التى تكون أساسه[٣] ،

---

(١) انظر باب المقامات ص ١٩٧ — ٢٢٦ ج ١ من كتاب النثر الفنى للمرحوم زكى مبارك . وانظر ص ٧٧ و ٧٨ من مدخل التذكرة فى فقه اللغة للمحقق .

(٢) هذا هو الأصل عند إنشاء المقامات ولا يؤثر فى هذا الرأى تنوع أغراضها بعدئذ .

(٣) كما فعل التيمى الإشتركونى صاحب « المسلسل » فإنه كان يبدأ كل باب من الخمسين بشعر ويختتمه كذلك .

كما يختتمه بذلك[١].

وقد يستفيد الطالب من وراء هذا ، أنه رياضة لغوية ، يحتال بها على تحصيل ثروة لغوية ، وحفظ. واستذكار معانى مفردات اللغة بدون سأم ولاتعب .

وفى الحق ، إن هذا النوع من التأليف ،وهو « المُدَاخَل » ،أو «المتداخل» ، أو « المُسَلْسَل » ، أو بعبارة فقهية أو فقلغية[٢] ، هذا المشترك اللفظى ، ليخلق الميل إلى حفظ. بعض المفردات اللغوية ، والوقوف على مختلف معانيها ودقائقها ، وخاصة ما كان منها قديماً أو غريباً ، أو مهجوراً وغير مستعمل ، ولا شك فى أن الصلة بين القديم والحديث منها متينة ، والقرابة بينهما وشيجة .

أئمة المتداخل ومؤلفاتهم :

وإمام هذا الفن ، أو أول من ألّف فيه ، على ما يظهر لنا من المولفات التى عثر عليها ، هو أبو عُمَر المطرز البغدادى (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) صاحب كتاب « المُدَاخَل » وكتابه هذا أبواب قصار ، رواها عن ثعلب[٣] أستاذه ؛ وهذا كان يرويها تارة عن ابن الأعرابى[٤] ، وتارة عن عمرو[٥] عن أبيه[٦] ، وأخرى عن سلمة[٧] عن الفراء[٨] .

---

(١) يغلب فى كتاب « المداخل » اختتام الأبواب بالشواهد الشعرية ؛ أما « شجر الدر » فيلتزم اختتام الأشجار والفروع بالشواهد .

(٢) فقلغية : منحوتة من كلمتى « فقه اللغة » .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانى إمام الكوفيين فى النحو واللغة (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) .

(٤) ابن الأعرابى هو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى أحفظ الكوفيين للغة . توفى ٢٣٢ هـ .

(٥) هو عمرو بن أبى عمرو الشيبانى اللغوى الكوفى توفى سنة ٢٣١ هـ .

(٦) هو أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى صاحب كتابى الجيم والنوادر (٩٦ - ٢٠٦ هـ) .

(٧) هو أبو محمد سلمة بن عاصم النحوى (١٦٢ - ٢٤٠ هـ) .

(٨) هو أبو زكريا يحيى بن زياد ، أخذ عن الكسائى (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) .

والمطرز هذا ، هو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم الباوَرْدى ، من أئمة اللغة وحفاظ الحديث ، أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة . ويلقب بغلام ثعلب لصحبته زمناً ، وسمى بالمطرز لأنه كان يشتغل بتطريز الثياب ، توفى فى بغداد سنة ٣٤٥هـ[1] .

وقد حذا حذو المطرز ، تلميذه الإمام أبو الطيب اللغوى الحلبى فى كتابه «شجر الدر» ، وكان معاصراً للمطرز ، وتوفى بعده بست سنوات .

ونرجئ الكلام على هذا المؤلف ومؤلفاته ، حتى نشير إلى مؤلف ثالث بالأندلس وهو محمد بن يوسف بن عبد الله ، التميمى المازنى السرقسطى الأندلسى ، أبو طاهر الإشتركونى ، المتوفى بمدينة قرطبة سنة ٥٣٨هـ صاحب «المسلسل» .

وهذا المؤلف الأندلسى ، كما نرى ، توفى بعد صاحبيه بأكثر من قرنين ، فلا بد أن تكون مفردات مولَّفه أغزر ، ونظامه أدق وأتم ، وكذلك كان اسمه «المسلسل» وهو واضح فى مدلوله أكثر من سابقيه .

ويمتاز هذا الكتاب بأنه يبدأ كل باب من أبوابه الخمسين ، ويختتمه كذلك ، بشاهد من الشعر ، بيتاً أو أكثر ، غير الشواهد الكثيرة المنثورة فى صلب الأبواب .

والظاهر أن صاحب «المسلسل» لم يطلع على كتاب «شجر الدر» بل أشار فى مقدمة كتابه إلى أنه كان فيما سمع (عليه) كتاب «المُداخَل» فرآه غير مستوفى ، ولعل مؤلفه إنما ارتجله ارتجالا ، وجرت فيه ركائبه عجالا ، فحركه ذلك ، إلى صلة ما ابتدأ وتمكين ما رسم منه وأنشأ ، وذكر

---

(١) للاستزادة ترجع إلى الصفحات ٣١٥ — ٣٢٠ من الجزء الثالث من مجلة المجمع اللغوى المؤرخ فى أكتوبر سنة ١٩٣٦ .

أنه لم يرد مجاراة ، ولا قصد مباراة ، واعترف له بفضل السبق ، وحمد منه البدء والعود . وبالرجوع إلى مقدمة « شجر الدر » نجد فرقاً بين المقدمتين ؛ ولسنا نظن أن أبا الطيب كان يجهل كتاب « المُداخَل » وإن لم يشر إليه .

موازنة بين المؤلَّفات الثلاثة :

وبالرجوع إلى هذه المؤلَّفات الثلاثة « المداخل » و « شجر الدر » و « المسلسل » وبالموازنة بينها ، نرى أنها تختلف فى اختيار المفردات ، وكونها أكثر استعمالا وحداثة ووضوحاً ؛ فبينا نجد مفردات « مداخل » المطرز تميل إلى البداوة وتتعمق فى الغرابة ، نجد كثيرًا من مفردات « شجر الدر » أكثر استساغة ، فى نظر المُحْدَثين على الأقل ، وإن كانت شواهدها تضم غير قليل من الشواهد القديمة . أما مفردات « المسلسل » وشواهده فكثيرة تجمع بين الغريب والمستعمل ، وقد حمله تحدى المطرِّز على المبالغة فى ذلك .

ومما يخطر بالبال أن من يعتزم نشر بعض هذه الكتب يحسن به أن يبدأ بأقدمها وهو « المُداخَل » ولكن جاءت مفرداته متعمقة فى الغرابة ، متوغلة فى البداوة ، وقد يأتى للكلمة الواحدة بعدة مترادفات ، معظمها غريب عند الخواص ، أو مهمل فى الاستعمال ولم يوجد بين نسخه أمامنا الآن ، ما يعول عليه ، لأن كل نسخه عدة أبواب مختلفة .

وقد رأينا أن « شجر الدر » أدنى وأصفى ، ومادته إلى الفهم أقرب ، وهو باستعمال مفرداته فى عصرنا أحق وأولى ، ولذلك آثرته بالنشر أولا ، وبخاصة ، لأن ما عثرت عليه من نسخه كان أصح وأضبط . على أنه إذا قدر « لشجر الدر » أن يثمر ، وهو ما نرجوه ، فقد يتبعه « المسلسل » ويقفو

أثرهما « المُداخَل » أو العكس ، إن طال الأجل ، وسنحت الفرصة إن شاء الله تعالى[1] .

وإليك نماذج من كتابي « المداخَل » و « المسلسل » :

ا ـ من المداخَل : باب القَطاج :

أخبرنا ثعلب ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال ، القَطَاج : قَلْسُ السفينة ، والقَلْسُ : ما يخرج من حلق الصائم من الطعام والشراب ، والشراب : الخمر ، والخمر : الخير . قال : والعرب تقول : ما عند فلان خَلٌّ ولا خمر ، أى لا شر ولا خير ، والخير : الخيل ، والخَيْلُ : الظن ، والظنُّ ، القَسَم . قال وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء ، قال ، من العرب من يقول : أظن إن زيدًا لخارجٌ ، بمعنى والله إن زيدًا لخارج . قال وأنشدنا ثعلب عن سلمة عن الفراء :

أظن لا تنقضى عنا زيارتكم حتى تكون بوادينا البساتين

ب ـ من المسلسل : « الباب التاسع » .

أنشد أبو زيد لسعد بن زيد مناة :

أَجَدَّ فراقُ الناقمِيه غُدْوَةً أم البينُ يحلَوْلى لمن هو مُولَع

لقد كنت أهوى الناقميه حَقبة فقد جعلتْ آسانُ بَيْنٍ تَقَطَّعُ

الآسان : المَشَابِه ، وهى هنا القوى ، والقُوى : جمع قوة ، والقوة : طاقة من طاقات الحبل ، والحبل : المستطيل من الرمْل ، والرمَل : ضرب من السعى ، والسعى : الحَرْش ، والحرش : الصيْد ، والصيد : ما أخذتَه

(١) قد عثرنا على نسخ جيدة لكتاب « المداخل » فأعددناه للنشر فعلا . أما « المسلسل » فى طريق الإعداد ، والله الموفق (فبراير سنة ١٩٥٧) .

عفوًا ، والعَفْو : الصفح ، والصفح : الجانب ، والجانب : الغريب ، والغَريبُ : النزيع ، والنزيع : السهم ، والسهم : النصيب ، والنصيب : حجارة حول شفير الحوض ، والحوض الصغير : الخريص ، والخريص والخِرص : الجائع المقرور ، والمقرور : الخَصِر ، والخَصِرُ من الماء : البارد العذب ، والعَذْب: ضد الفظيع ، والفظيع : الكريهُ الذوق ، والذوق :العَذْف ، والعَذْف : الأَصل ، والأَصل : العِيص ، والعِيص : منبت الشجر ، قال الأَخرم السَّنْبسى :

بها قُضُبٌ هندوانيـــة وعِيصٌ تَزاءرُ فيها الأُسود

والشجر : ما قام من النبت على ساق ، والساق : عظم القدم ، قال طرفة :

للفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدى ساقَهُ قدمُه

والقدم : السابقة ، والسابقة : الفَرَط ، والفَرَط : المتقدمون إلى الماء ، قال أَبو النجم :

ومَنْهلٍ وردتُه التقاطا لم أَلْق إذ وردتُه فُرَّاطا
إلا الحمامَ الوُرْقَ والغَطاطا فهن يُلْغِطْن به إلْغاطا

أَبو الطيب اللغوى :

هذا ، والكتاب الذى أقدمه الآن ، هو « شجر الدر » فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة للإمام أَبى الطيب اللغوى الحلبى رحمه الله . وقد شرح مؤلفه فى مقدمته سبب تسميته فأَترك له بيان ذلك فى مقدمته .

أَما أَبو الطيب اللغوى فهو :عبد الواحد بن على[1] ، أَبو الطيب العسكرى.

---

(١) من كتاب الوافى بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، ومن إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، تأليف عبد الباقى اليمنى . كلاهما من مؤرخى القرن الثامن الهجرى .

ولد فى عسكر مكرم ، ونشأ فيها ، ورحل إلى بغداد ، ثم قدم حلب وأقام بها إلى أن قتل فى دخول الدمستق حلب سنة ٣٥١ هـ .

وهو أحد حذاق العلماء المبرزين ، المتقنين لعلمى اللغة والعربية ، أخذ عن أبى عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد السابق ذكره (ص ١٨) ومحمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٦ هـ[1] .

قال أبو الطيب : قرأت على أبى عمر ، الفصيح وإصلاح المنطق ، حفظاً .

وقال أبو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف ، وأجلس على دجلة أحفظها وأرمى بها .

وقال أبو على الصقلى : كنت فى مجلس ابن خالويه ، إذ ورد عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزائنه وأخرج منها كتب اللغة وفرّقها على أصحابه يفتشونها ليبحث عنها ، فتركته وذهبت إلى أبى الطيب اللغوى وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، وبيده قلم الحمرة ، فأجاب به ولم يغيره ، قدرة على الجواب .

له التصانيف الجليلة : منها كتاب لطيف فى مراتب النحويين[2] ، وكتاب فى الإتباع على حروف المعجم ، وكتاب الإبدال نحا فيه نحو كتاب يعقوب فى القلب ، وكتاب « شجر الدر » ذكره الشيخ أبو العلاء المعرى فى رسالة « الغفران » وسلك فيه مسلك أبى عمر فى « المُدَاخَل » ،

---

(١) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول المعروف بأبى بكر الصولى شيخ المؤلف . اشتهر بالرواية والحفظ ودون أخبار الوزراء والكتاب والشعراء والرؤساء . توفى بالبصرة سنة ٣٣٦ هـ . كان جده صول وأهله ملوك جرجان ثم رأس أولاده بعده فى الكتابة وتقلد الأعمال الجليلة السلطانية .

(٢) قام بإخراجه وتحقيقه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم مدير الشئون المكتبية بدار الكتب .

وكتاب فى الفرق ، وكتاب الأضداد فى كلام العرب[١] . وقد اقتبس السيوطى فى أبواب المزهر كثيرًا من كتب أبى الطيب ، ويقول المترجمون له إن أكثر مصنفاته قد ضاعت[٢] .

كان بينه وبين ابن خالويه محاسدة ، وكان يلقبه أعنى ابن خالويه ، قرموطة الكبرتل ، يعنى دحروجة الجعل ، لأنه كان قصيرًا .

---

(١) يوجد منه نسخة خطية من القرن الحادى عشر فى ١٠٩ ورقة بمكتبة سليم باستانبول رقم ٨٩٣ .

(٢) جاء فى الجزء الثانى من تاج العروس ، (ص ٣٤٨) ما يلى :

(ذياد بن عزيز) وقيل ذياد بن زيد بن الحويرث بن مالك بن واقد (الشاعر بالكسر) أورده أبو الطيب اللغوى فى طبقات الشعراء . فهل لأبى الطيب كتاب فى طبقات الشعراء ؟

النسخ التى اطلعنا عليها مرتبة بحسب أقدميتها

(١) نسخة بخط الإمام السيوطى كتبها سنة ٨٦٧هـ .

(٢) نسخة المكتبة الأزهرية ، عمرها فوق مائة سنة .

(٣) نسخة مكتبة طلعت « باشا » نسخت سنة ١٣٠٨ هـ .

(٤) نسخة المكتبة الزكية نسخت سنة ١٣١١ هـ .

(٥) نسخة المكتبة التيمورية نسخت سنة ١٣٢٢ هـ .

هذا إلى مقتبس من كتاب « المزهر » للسيوطى ، يصح اعتباره مرجعاً سادساً . ونحن ذاكرون شيئاً عن كل واحد منها :

النسخة الأولى :

(١) عمرها الآن أكثر من خمسة قرون ، فهى قديمة ، قد تَخَاتَّ وتآكل كثير من ورقها ، وغاب منها كثير من الكلمات والحروف ، وخَطُّها غير جيد ، والإعجام فيها ناقص ، وبخاصة فى مواضع يعول عليها فيه ، وكذلك الشكل .

(٢) والكتاب فى ٤٨ صفحة غير العنوان ، متوسط سطور الصفحة ١٥ سطرًا ونرمز إليها بحرف (س) وقد كتبها الإمام السيوطى بخطه سنة ٨٦٧ هـ نقلا عن نسخة بخط الشيخ ابن القماح ، ضمن مجموعة رسائل صغيرة .

(٣) ومثوى هذه النسخة الآن ، فى مكتبة السيد أحمد خيرى بروضة (خيرى باشا) بالقرب من دمنهور (بحيرة) .

(٤) وعلى الرغم من نقص فى أجزاء بعض صفحاتها ، وتآكل فى بعض حروفها ، وذهاب بعض كلماتها المهمة فى المراجعة ، وعدم وجود الإعجام الكامل ، والشكل المميز الشامل ، إلا أنه يوجد فيها حسنات كثيرة نافعة منها :

ا ـ ضبط بعض الكلمات المختلف عليها فى النسخ الأخرى .

ب ـ وجود زيادات وإضافات صححتْ كثيرًا من النقص والخطأ فى غيرها من النسخ .

حـ ـ والحسنة الكبرى التى انفردَتْ بها ، تصحيحُها لخَرْم أجمع عليه ما عداها من النسخ ، وهو تهويش وتقديم وتأخير فى ثلاثة مواضع :

الأول ـ قبيل آخر شجرة العين ، قبل الفرع الأول (انظر وجه ٣) .

الثانى ـ قبيل آخر شجرة الروُبة قبل الفرع الأول (انظر وجه ٥) .

الثالث ـ قبيل آخر شجرة النعل أو الصِّنَّبْر الأخيرة (انظر وجه ٧) ، إذ جاء فى الجزء الأول ما حقه أن يكون فى الثانى ، وفى الثانى ما حقه أن يكون فى الثالث ، وفى الثالث ما حقه أن يكون فى الأول .

فوضعتْها نسخة السيوطى فى مكانها الصحيح .

(انظر وجه ٤ ووجه ٦ ووجه ٨) .

النسخة الثانية : نسخة المكتبة الأزهرية :

(١) يقع الكتاب فى ١٦ ورقة ذات صفحتين ، ورقعة الصفحة ٢٢×١٥ سم٢ وفيها ٢٧ سطرًا ، بقلم النسخ الدقيق ، بدون التزام قواعد ، مسطرة بالمسطرة الخيطية المعروفة قديماً ، فى ورق الكتان الرقيق غير الصلب ، وغير ناصع البياض . .

والمداد أسود ، فيما عدا عنوانات الشجر والفروع ، وبعض التعليقات والهوامش وخطوطاً عند أوائل الشواهد ، فإن هذه كلها بالمداد الأحمر .

(٢) والإعجام فيها مُستوفًى ، والشكلُ قد يستغرق حروف بعض الكلمات أو يقتصر على حرف أو حرفين من الحروف المهمة الشكل ، وقلما يثبت شدة الحروف التى بعد « ال » الشمسية ، بل يكتفى بالحركة . وقد يضيف الكاتب علامات المد الأفقية والرأسية عَلَى أوْ تحت الحروف الممدودة ، كما يضَعُ سكوناً فوق الألف اللينة .

والكتاب خال من علامات الترقيم الشائعة . ونرمز إليها بحرف (با) .

(٣) والكتاب فى مكتبة الأزهر ، ضمن الكتب المهداة من ورثة أباظة « باشا » ورقمه بين المجاميع ١١٨١ ورقم أباظة ٧٣٢٣ ، فى مجلد يدل على القدم وطول العمر ، وهو أول عشر رسائل صغيرة فى هذه المجموعة وناسخها غير معروف .

وعمرها يزيد على مائة سنة ، لأن الصفحة الأولى من الورقة الأولى المغلفة ، قد وُجد بزاويتها العليا من اليسار ، العبارتان :

ا ـ صار فى نوبة الحقير محمد نسيب الحمزاوى فى ١٣ جا سنة ١٢٦٣هـ

ب ـ ثم ولدى الحقير محمد أسعد غفر لهما فى محرم سنة ١٢٦٦هـ .

النسخة الثالثة : نسخة مكتبة طلعت « باشا » :

(١) تقع هذه النسخة فى ٢٠ ورقة ذات صفحتين ، وجه الصفحة ٢٤ × ١٦,٥ سم^{٢} ، ولها حاشية (هامش) واسعة ، وبها ٢١ سطرًا مكتوبة بالخط الفارسى الجيد المجوف بالمداد الصينى الأسود ، والكتابة واضحة جدًّا ، لشدة بياض الورق الناعم السميك .

والمداد شديد السواد ، إلا فى الأشجار وفروعها ، وإلا فى الترقيم ، وبعض الفواصل والنقوش الزخرفية ، فإنها جميعها بمداد أحمر خفيف الحمرة .

(٢) والإعجام فيها تامٌّ ، والشكل يكاد يطابق شكل النسخة الثانية ، ويقل التزام الشكل الكثير فى النصف الثانى من الكتاب ، وتكثر فيه الفواصل والشولات الصغيرة الحمراء بالقرب من الآخر ، وعلامات المد الأفقية والرأسية موجودة فوق الحروف وتحتها أحياناً .

وبعض الشكل والهمزات والهوامش والتعليقات التى بالحاشية مكتوبة بالخط الأسود الدقيق ، بسن القلم .

(٣) وقد عثرنا على هذه النسخة ، عفوًا ، فى سنة ١٩٣٦ بمكتبة طلعت « باشا » رقم ٣٨٣ ونرمز إليها بحرف (ط) وقد تمت كتابتها فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ هـ بخط المرحوم السيد محمد مراد الشطى البغدادى الدمشقى (١٢٨٩ - ١٣١٤هـ) . وقد كان أحدَ علماء الحنابلة فى دمشق ، عارفاً باللغتين الفارسية والتركية ، بارعاً فى فنون الخط ، وقد كتب بخطه النفيس من الكتب والرسائل شيئاً كثيرًا[1] .

(٤) وكان ناسخ « طلعت » أميناً فى نقله ، قلما ينحرف عن النسخة الثانية ، وقد جرَّه حِرْصُه على مطابقة النسختين ، إلى الوقوع أحياناً فى خطأ نحوى أو صَرْفى ، أو فى مخالفة قواعد رسم الحروف ، أو كتابة الشعر المدور (على الرغم من أنه عالم ، فقد كان نساخاً قبل أن يكون عالماً) ، وذلك تبعاً لما وقع فيه ناسخ « أباظة » المجهول .

وكثيرًا ما اشتبه عليه الأمر فى شكل بعض الكلمات ، فكان يأخذ

---

(١) انظر تاريخه فى مختصر طبقات الحنابلة ، جمع واختصار السيد محمد جميل الشطى النائب والإمام الحنبلى بدمشق . طبع سنة ١٣٣٩ هـ .

الكسرة التى تحت حرف فى سطر فَوْقانى ، يجعلها فتحةً على حرف فى السطر الذى تحته ، أو يأخذ فتحة من السطر الأسفل فتصبح كسرةً تحت حرف فى السطر الذى فوقه. وفى النسختين ، أمثلةٌ كثيرةٌ دقيقة تدل على أن النسخة الثانية أصل للثالثة .

وقد أرخ ناسخ (ط) كتابته لها بتاريخ عجيب (انظر وجه ٩)[1].

النسخة الرابعة : نسخة المكتبة الزكية :

هى فى ٥٠ صفحة كل صفحة ١٩ سطرًا ، بخط. النسخ القريب من القاعدة ، ومدادها أسود فيما عدا الشجر والفروع فهو أحمر ، وقد سقط. منها أربع صفحات كتبها ناسخ متأخر. وقد كتبها محمد جمال الدين بن محمد عبد الرحمن فى سنة ١٣١١ هـ وهى محفوظة برقم ٤٠٥ ونرمز لها بحرف (ز).

النسخة الخامسة : نسخة المكتبة التيمورية :

وهى أحدث النسخ ، إذ كتبت سنة ١٣٢٢ هـ ونرمز لها بحرف (ت) ، وهاتان النسختان ، الرابعة والخامسة ، قليلتا الأهمية بعد النسخ الثلاث ، لانعدام الشكل فيهما كلية ، وإهمال الإعجام فى بعض الكلمات التى يتوقف تحقيقها على نقط الحروف ، ولا أثر فيهما للترقيم .

---

(١) تم كتاب شجر الدر فى متداخل اللغة ، والحمد لله أولا وآخراً ، والصلاة والسلام على من كملت محاسنه باطناً وظاهراً ، وعلى آله وأصحابه آمين .

وقد وقع الفراغ من نسخه على يد أفقر العباد ، وأحوجهم إلى الزاد ، يوم المعاد ، راجى عفو مولاه المعطى ، الحقير محمد مراد الشطى ، فى وقت مبارك إن شاء الله تعالى ، وهو الجزء الأول ، من السدس الخامس ، من النصف الأول ، من السبع الأول ، من العشر السابع ، من الثلث الثانى من الربع الأول ، من الثلث الثانى ، من العشر الثامن ، من الخمس الأول ، من النصف الأول ، من القرن الرابع عشر من هجرة خير البشر . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . .

التاريخ المذكور للجزء الأول من الساعة الخامسة من يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ هـ .

النسخة السادسة :

عندما فكرت فى نشر كتاب (شجر الدر) أخذت أبحث عن نسخة فى فهارس المكاتب المصرية وغير المصرية ، وجعلت أسأل الوراقين والمشتغلين بالتنقيب عن نفائس الكتب ، واستعنت بالجامعة العربية فى العثور على نسخ منه فلم توفق ، كما كلفت وكاتبت كثيرًا من الأصدقاء[1] وغير الأصدقاء فى الخارج فى ذلك .

وبالرجوع إلى ثبت المخطوطات للأستاذ (بروكلمان) (ص ١٩٠) من الجزء الأول من الملحق ، وجدنا فيه الإشارة إلى أن الإمام السيوطى اقتبس منه فى كتابه (المزهر فى علوم اللغة وأنواعها) ورجعت إلى (المزهر) فوجدته قد عقد باباً تحت عنوان (النوع الحادى والثلاثون : معرفة المشجر) قال فى أوله :

ألف فى هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتباً سموها (بشجر الدر) منها (شجر الدر لأبى الطيب اللغوى) . ونحن نأخذ على السيوطى تعميمه هذا فى التسمية ، وأن هناك كتباً غير كتاب (أبى الطيب) تسمى بشجر الدر لأن تسمية (المشجر) غير عامة ، ولا تنطبق إلا على كتاب (أبى الطيب) وحده ، للأسباب التى ذكرها فى مقدمة كتابه ، ونقلها السيوطى نفسه فى هذا الباب من المزهر .

ويظهر أن السيوطى لم يطلع على كتاب (المداخل) للمطرز ولا على كتاب « المسلسل » للتميمى اللذين سبقت الإشارة إليهما هنا (ص ١٨ ، ١٩) وقد ألف « المسلسل » قبل ثلاثة قرون من حياة السيوطى وألف (المُداخَل) قبله بقرنين

---

(١) من هؤلاء ، الأستاذ ربحى كمال أستاذ اللغات السامية بالجامعة السورية ، وقد تعب معنا كثيراً بدمشق . ومن أعاننا الأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب . ولهما الشكر على ما قاما به من مجهود معنا فى البحث والسعى .

أو أكثر ، حتى كان يعلم أن هناك اسمين آخرين لهذا الضرب من التأليف هما (المُداخَل) أو(المُتداخل) و (المُسَلْسل) .

ثم قال السيوطى بعد ذلك :

قال أبو الطيب اللغوى فى كتابه المذكور : هذا كتاب مداخلة الكلام... إلى آخر الجملة الذى ذكر فيها سبب التسمية ، وكنا نعتقد أن هذا وحده يمنع السيوطى من التعميم فى إطلاقه لفظ (المشجر) على المتداخل عامة.

وبعد أن ضرب السيوطى مثلا من الكتاب بنقل شجرة العين ، بعد حذف الشواهد ، ما عدا شاهدين ، قال : هذا آخر المثال . وفى الكتب المؤلفة فى هذا النوع أمثلة كثيرة من ذلك .

ولكنه لم يذكر أسماء الكتب الأخرى ، مع علمنا باتساع خزانة كتبه ، وشغفه بجَمْع النوادر فيها ، مع العلم بأنه كتب بخطه نسخة من (شجر الدر) (انظر ص ٢٥) وقد ختم الباب بقوله :

لطيفة : هذا النوع يناظره من علم الحديث نوع المسلسل .

ملاحظة عامة : جارى الأستاذ الرافعىُّ الإمامَ السيوطىَّ فى هذا الوهم فى التسمية ، حين أورد فى كتابه (تاريخ أدب العرب) ص ١٩٠ من الجزء الأول طبعة الأستاذ سعيد العريان عنوان (المشجر والمسلسل) قال الرافعى :

وقد استخرج اللغويون من الاشتراك فى اللغة ومداخلة الكلام بالمعانى المختلفة نوعاً سموه (المشجر) وبعضهم يسميه (المسلسل) متابعة لرواة الحديث فيما يناظر هذا النوع عندهم . . . إلخ .

كلمتان ، لا بد منهما أخيرًا :

الأولى : قد اتفقت نسخ با ، ز ، ت فى تقديم فروع شجرة الرؤبة ، وكتابتها بعد شجرة العين مباشرة مع تأخير فروع شجرة العين الثمانية ، إلى ما بعد شجرة النعل (أو الصِّنَّبْر). وهذا عدا مواضع التهويش الثلاثة (ص٢٦).

وقد أجمعت هذه النسخ على إثبات التعليق الآتى فى حاشيتها عند الفرع الأول من شجرة الرؤبة ، وهو ، الرؤبة : جناة شجرة تسمى الزعرور إلخ . قال التعليق : لعل هذا الفرع وما بعده مقدم من تأخير ، إذ حقه أن يكتب (يذكر) تحت شجرة الرؤبة آخر الكتاب . . . وفروع هذه الشجرة (يريد شجرة العين) مذكورة فى شجرة النعل ، وحينئذ فشجرة النعل لا فروع لها اهـ تأمل (انظر وجه ٣) .

وقد انفردت نسخة طلعت بترتيب الفروع بعد شجراتها ، فلم تثبت هذا التعليق ، ولم تشر إلى تصحيح الترتيب ، لأن ذكر الأشجار والفروع كان من شأنه أن يمنع من التقديم والتأخير . وقد اتفقت جميع النسخ – بعد نسخة السيوطى – على أن جاء بحاشيتها نحو ٣٠ تعليقاً صغيراً ، بتفسير بعض الكلمات أو ذكر أسماء بعض الشعراء التى لم ينسبها المؤلف فى المتن ، فأضفناها أو نبهنا عليها فى حاشيتنا عند التعليق أو الشرح .

الثانية : بقى أن نفكر فى منشإ التقديم والتأخير فى الفروع والأشجار والتهويش والخَرْم الذى أشرنا إلى تصحيحه فى نسخة السيوطى (ص٢٦) .

والظاهر – والله أعلم – أن النسخة أو النسخ الأصلية التى جمع منها أبواب الكتاب كانت متفرقة الأجزاء أو أنها جمعت من عدة جهات كما نرى فى نسخ (المداخل) الموجودة الآن بدار الكتب المصرية والمرقومة ٢٢٩ و ٢٦ ش ، ١٩٦ مجاميع ، فإن بعضها غير مرتب الأبواب وفيه نقص . أما الخروم

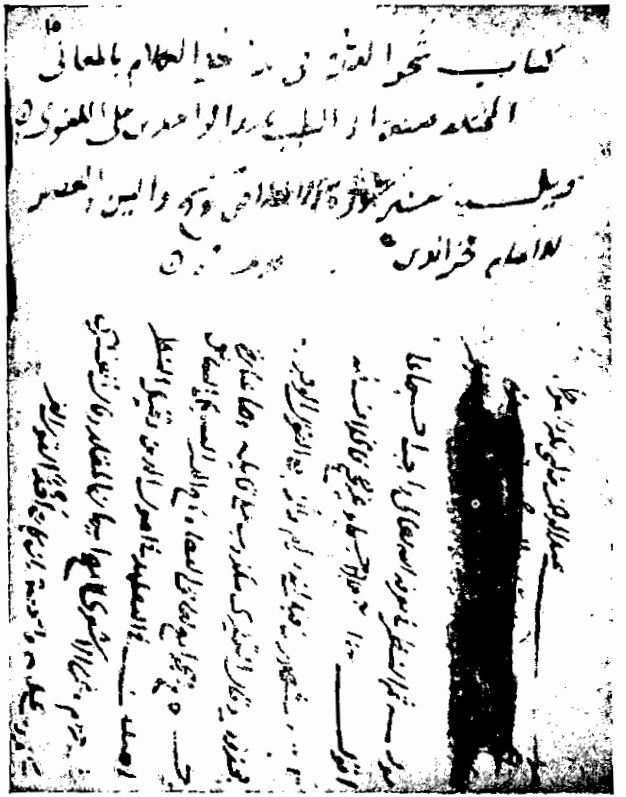

وجه ١ عنوان كتاب شجر الدر من نسخة السيوطى

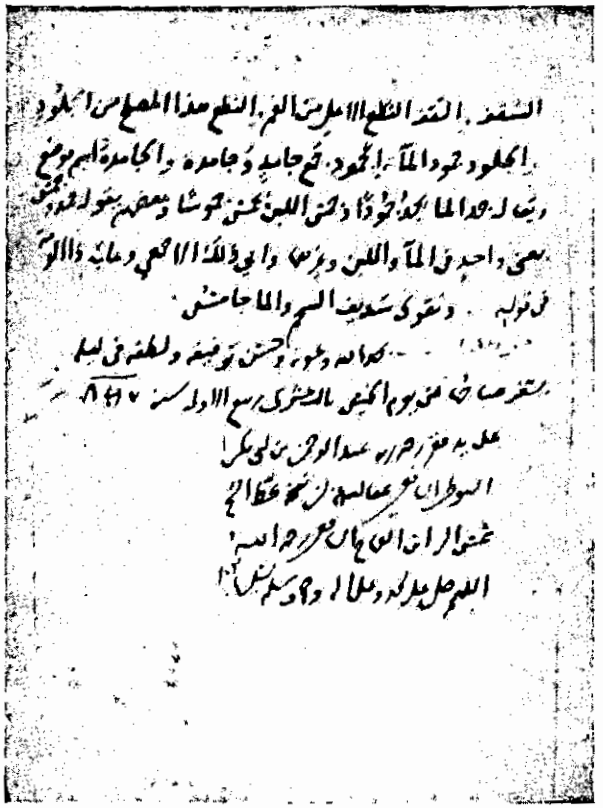

وجه ٢ الصفحة الأخيرة من نسخة السيوطى وبها التاريخ

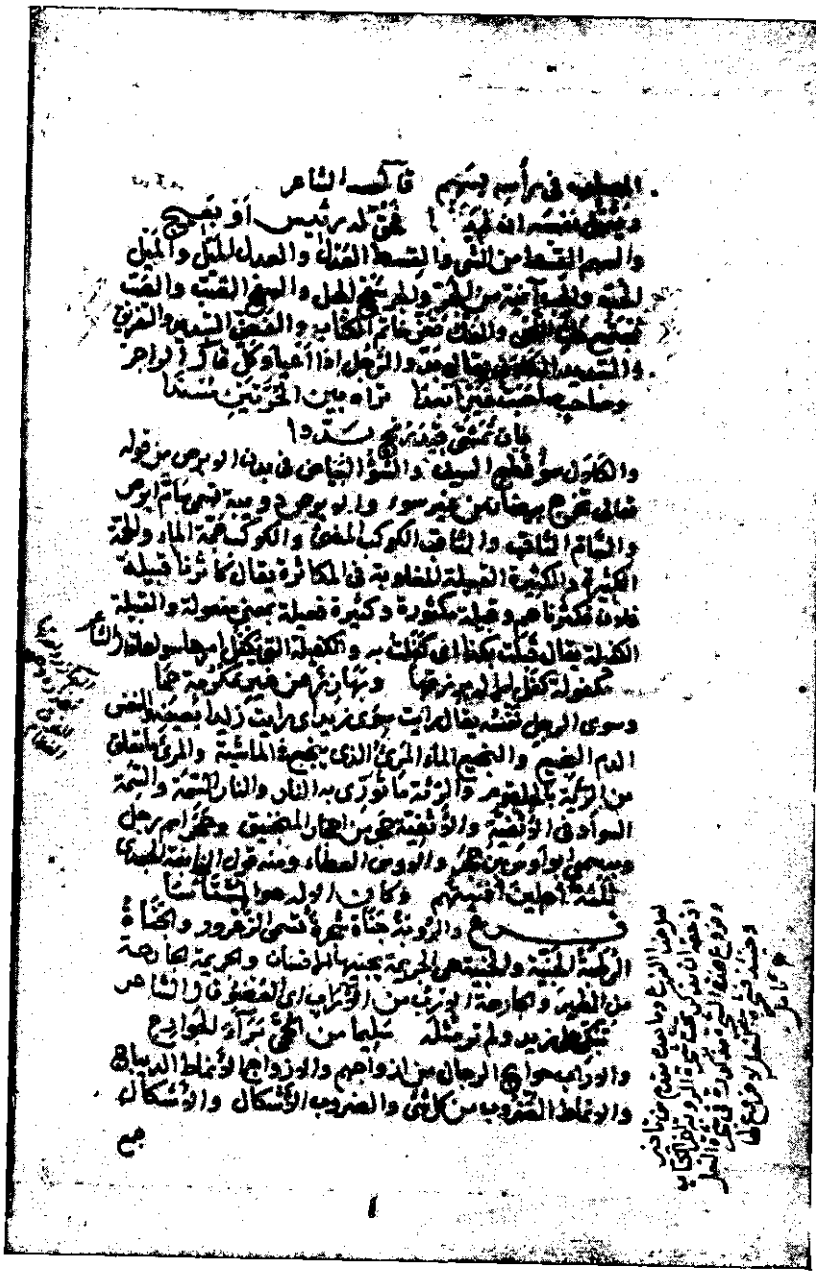

وجه ٣ يبين الخرم الأول وتقديم فروع شجرة الرؤبة والتعليق بالحاشية (نسخة أباظة)

وجه ٤ تصحيح الحرم الأول (نسخة السيوطي)

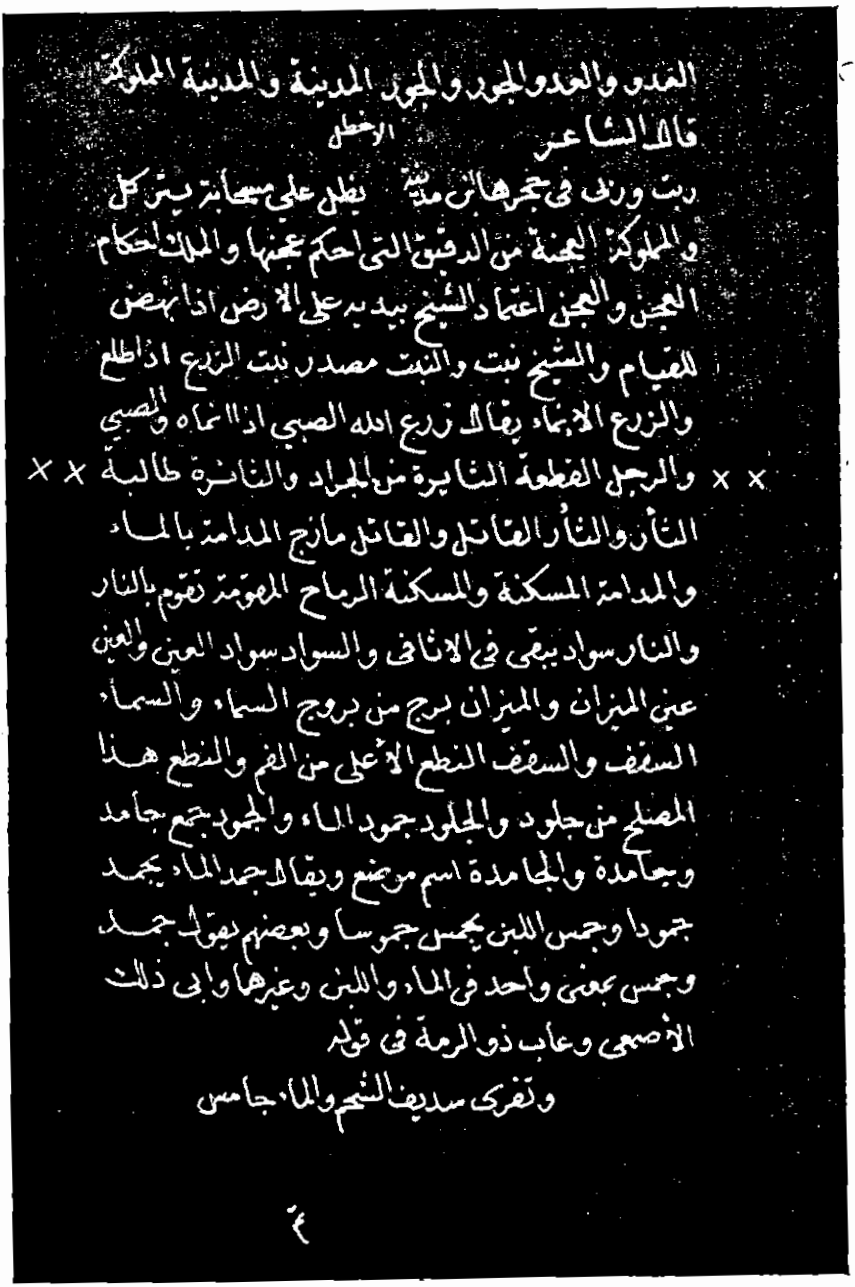
القدو والعدو والجود والجور المدينة والمدينة المملوكة
قال الشاعر الوافر
ربت ورنى فى جحرها ابن مدينة يظل على سحابة يستر كل
والمملوكة المجنة من الدقيق التى احكم عجنها والملك احكام
العجن والعجن اعتماد الشيخ بيده على الارض اذا نهض
للقيام والشيخ نبت والنبت مصدر نبت الزرع اذا طلع
والزرع الانبات يقال زرع الله الصبي اذا انماه والصبي
× × والرجل القطعة الشابرة من الجراد والنابرة طالبة × ×
الثأر والثأر القاتل والقاتل مازج المدامة بالماء
والمدامة المسكنة والمسكنة الرماح المهومة تقوم بالنار
والنار سواد يبقى فى الاثافى والسواد سواد العين والعين
عين الميزان والميزان برج من بروج السماء والسماء
السقف والسقف القطع الأعلى من الفم والقطع هذا
المصلح من جلود والجلود جمود الماء والجمود جمع جامد
وجامدة والجامدة اسم موضع ويقال جمد الماء يجمد
جمودا وجمس اللبن يجمس جموسا وبعضهم يقول جمد
وجمس بمعنى واحد فى الماء واللبن وغيرها وابى ذلك
الأصمعى وعاب ذو الرمة فى قوله
وتفرى سديف الشحم والماء جامس

وجه ٥ يبين الحرم الثانى (نسخة المكتبة الزكية)

وجه ٦ يبين تصحيح الحرم الثانى (نسخة السيوطى)

وجه ٧ يمين الحرم الثالث (نسخة مكتبة طلعت)

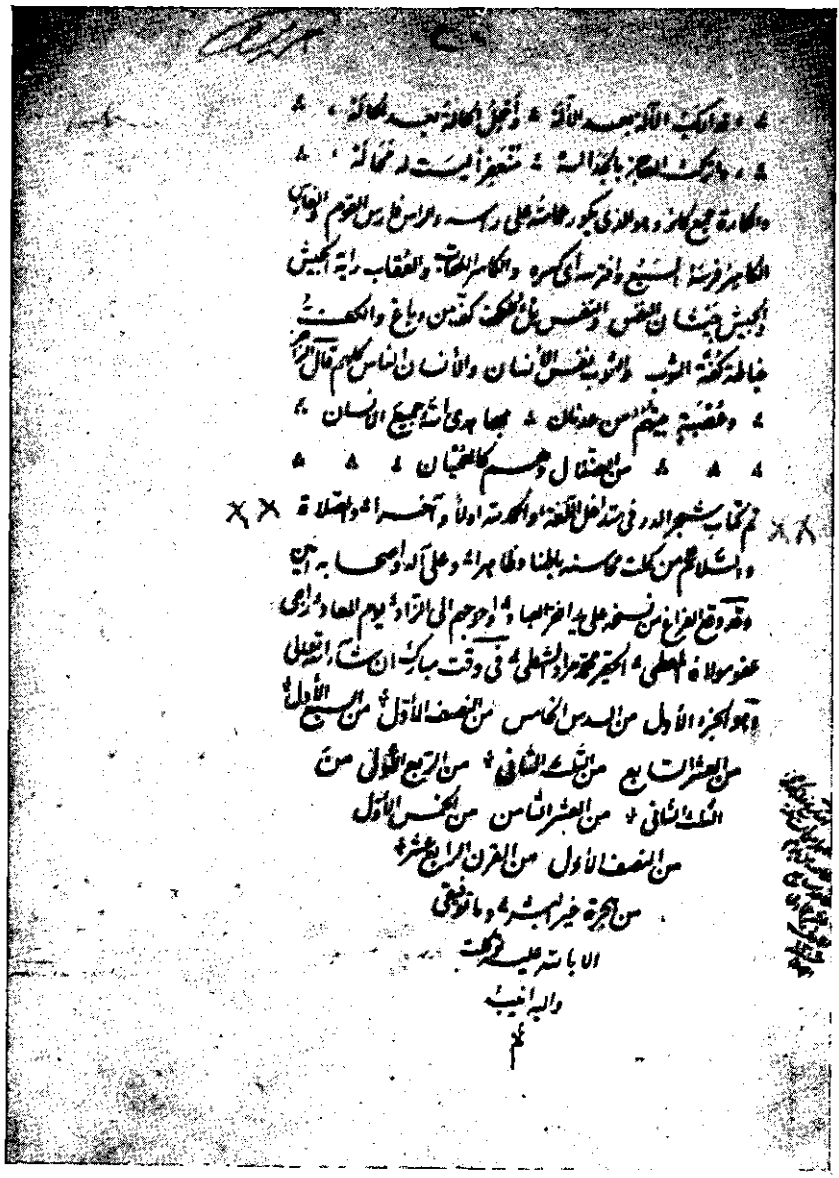

وجه ٩ الصفحة الأخيرة من « طلعت » وبها التاريخ

الثلاثة فلعل منشأها تحريف فى بعض الكلمات . فالصب : الدَّنَف فى شجرة العين حُرّفت إلى إلصب : مجتمع فك اللحى (وجه ٣) والصبى – مجتمع فك اللحى حرفت إلى والصبى ، والرَّجُل : القطعة الثائرة من الجراد إلخ (وجه ٥) والساق : ساق الرِّجْل ، حُرّفت إلى الساق ساق الرَّجُل الدنَف من عشق به (وجه ٧) فجاءت من تحريف الرِّجْل والرَّجُل مع ذكر الصبى والرجل .

وقد صححت نسخة السيوطى كل هذا (وجه ٤ ، ٦ ، ٨) .

والظاهر أن الخلط فى الترتيب والخَرْم ، جاء من نسخ فى غير وقت السيوطى .

النسخة التى عوّلنا عليها

كنت أود أن تكون نسخة السيوطى كاملة من كل وجه ، وبخاصة بعدأن صححت لنا ترتيب الكتاب وما فيه من خَرْم. حتى أجعلَها إمام جميع النسخ ، ولكنى ، لِما وجدت فيها من تحريف واضح ونقص ظاهر ، فضلت عليها نسخة طلعت ، لأنها أوضح النسخ خطًا ، بعد أن صححتها على نسخة أباظة ، وأضفت إليها ما كان ساقطاً من الكلمات والجمل ، ورتبت مواضع التهويش والتقديم والتأخير على ما جاء بنسخة السيوطى . فصارت النسخة التى بين يديك مرجعاً يصح التعويل عليه فى التصحيح والضبط .

وفى الحق ، إن المتن الذى نقدمه جمع مزايا النسخ الثلاث ، فقد أثبتنا زيادات السيوطى الصحيحة القَيّمة ، بعد وضعها بين قوسين مربعين هكذا [. . .] ، ووضعنا زيادات النسخ الأخرى المخالفة للسيوطى ، والتى يقتضى بها السياق بين قوسين عاديين هكذا (. . .) .

أما ما اختلفت فيه نسخة السيوطى مع النسخ الأخرى ، من العبارات ومن الروايات ، فقد أثبتنا منها فى المتن ما استصوبناه ، مع التنبيه على المهم منه فى تعليقاتنا ، وإغفال الإشارة إلى الألفاظ الواضحة التصحيف أو التحريف أو الخطأ ، منعاً للإطالة بدون جدوى . وقد قمنا بترقيم عدد الشجرات والفروع لتسهيل الرجوع إليها ، وسنقتصر فى الضبط بالشكل على الحركات المميزة فقط ، والترقيم الموضح ، وإن لم يرد ذلك فى بعض النسخ ؛ والله الموفق .

مضمون « شجر الدر »

يتألف الكتاب من مقدمة وست شجرات ، منها خمس ذوات فروع ، والسادسة لا فروع لها .

المقدمة :

بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبى فى سطرين اثنين ، ذكر فقرتين اثنتين ، افتتحهما بقوله ، قال أبو الطيب عبد الواحد بن على . أما الفقرة الأولى ، فقد أشار فيها إلى أن العلم أو مسائله عامةً منها ما هو سهل وصعب ، وذلول وجموح ، وإلى أن طالب العلم لا يستغنى عن معرفة كليهما ، بل يرى أن معرفة الصعب ضرورى لاستقصاء السهل . وهو يذكر أن العالِم المتفقه المتبحر فى مسائل العلم ، يبذل ما سهل منها لطالبه ، ويعبّد الطريق الوعرة لطلاب عويصها حتى يصلوا إليها .

وسأل الله تعالى فى ختام هذه الفقرة ، أن يجعله ممن يقدم ذلول المسائل لمبتغيها طلباً لمرضاة الله ، وأن يكون ممن يذلل صعبها ويروّض جموحها ، تحدثاً بنعمة الله ، وأن يوفقه فى قوله وعمله لما يقرّب منه ويرضيه . وانتهى منها بقوله : إنه جواد قريب سميع مجيب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما الفقرة الأخرى ، فقد بدأها بقوله : هذا كتاب مداخلة الكلام بالمعانى المختلفة سميناه « شجر الدر » . . إلخ .

وقد أخذ يذكر سبب تسمية الكتاب ومحتوياته ، فقال : إنه ترجم كل باب منه بشجرة ، جعل لها فروعاً ، وجعل أصل كل شجرة كلمة يبنى عليها مائة كلمة ، وتتضمن من الشواهد عشرة أبيات ، وكل فرع عشر

كلمات فيها من الشواهد بيتان ، إلا شجرة واحدة ختم بها الكتاب ، فيها خمسمائة كلمة ، أصلها كلمة واحدة ، وفى آخرها بيت واحد من الشعر ، ولا فروع لها . ثم أردف ذلك ببيان سبب تسمية الأبواب بالأشجار ، فقال : وإنما سمينا الباب شجرة ، لاشتجار بعض كلماته ببعض أى تداخله إلخ. وجعل يعمم تعليل مادة « شجر » من الوجهة اللغوية الاشتقاقية ، مدللا بأسماء الشجرة ، ومشجر الثياب (المشجب) والشجار ، للعصىّ التى تُنْصَب مركباً للنساء ، وبأفعال التشاجر والاشتجار ، مستشهدًا بالآية القرآنية الكريمة : « فلا وربك لا يومنون ، حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ،ثم ختم هذه الفقرة بقوله: فهذا الوجه الذى ذهبنا إليه ، وهو واضح ، وبالله التوفيق.

تعليق على هذه المقدمة :

بعد الاطلاع على مقدمتى كتابى « شجر الدر » و « المُسَلْسَل » ، وبعد تحليل هذه المقدمة على ما لخصنا ، يلحظ فيها عدة أمور :

الأول : انفراد أبى الطيب بهذه التسمية ، تسمية الكتاب المتفرعة من تسمية الأبواب ، وتعليلها لغويًّا تعليلًا فقهيًّا . ولعل السيوطى حينما دعا هذا المتداخل « بالمشجر » كان متأثرًا بهذا التعليل ، فظنه منطبقاً على جميع المؤلفات فى المتداخل، وعمَّم التسمية (ص ٣٠). أما صاحب « المُسَلْسل » فإنه ، على ما يظهر ، لم يطلع إلا على كتاب « المُداخَل » وكان تصنيفه كما ذكر التميمى، مضطرباً ، يكون أحيانًا من باب المترادف وأحياناً من قبيل المتداخل، أو المشترك اللفظى ، فكأنه كما ذكر ، لم ينضج فيه الفن ، كما أنضجه أبو الطيب ، ولهذا اختار لفظ « المسلسل » عنواناً لكتابه ، لأنه أوضحُ عنوان لعمله .

الثانى : سهولة عبارة المقدمة فى الفقرة الأولى خاصةً وعدم حَشْوها بالألفاظ

اللغوية الغريبة ، وخلوها من السجع ، مع تواضع المؤلف ، وعدم الإدلال بمعلوماته اللغوية ، وعدم الإطالة فيها ، كما فعل صاحب « المسلسل » حين قال :

قال الشيخ الإمام الرئيس أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمى رضى الله عنه :

أما بعد حمد الله بأجزل الحمد والثناء ، والصلاة على محمد خير الأنبياء ، وعلى الرسل والصالحين والأتقياء ، فإنه قد كان لعلم اللسان العربى فى صدر هذه الأمة مَطارٌ ونَفَاق ، وعلى تقديمه إجْماع وإصْفاق ، فتجرد لضبطها وتقييدها الخيارُ الصُّلَحاء والخُلَّصُ الأفاضل النُّجَحاء ، وبذلوا فيها الاعتناء ، وقطعوا فى جمعها وضبطها الأحْيانَ والآناء ، حتى أحرزوا منها غاية ، ورفعوا لشأنها عَلَماً وراية ، حين رأوا أنه لسان العلوم الشرعية ، والهادى إلى المعانى الأصلية والفرعية ، بها يُتوَصَّلُ إلى حقيقة معانيها ، ويُتَسَنَّمُ درجُ مبانيها ، وعنها يصدر التأويل . وتتوجَّهُ الأقاويل .

وأنه لا يُوصَل إلى معرفة كتاب الله تعالى ، ومعرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته والتابعين ، وأئمة الهدى من أمته — إلا بحفظ لغات العرب وأنحائها ، والأنس بإطنابها وإيحائها ، وإبلاغها وإيجازها ، وتوسعها ومجازها ، إلى ما فى معرفتها من العون على البلاغة والنُّطْق ، والاستظهار على قمع الباطل وبسط الحَق ، والتمكُّن من أنحاء القول ومسالك الكلام ، والتقلب فى مسارح الأخبار والأعلام . والآن وقد زهد الناس فيه زهدهم فى الفضائل ، ورغبوا عنه رغبتهم عن الأواخر من العلم والأوائل ، ولكل نجم طلوع وأفول ، ولكل حالة علو وسفول . وأنه كان فيما سُمِعَ علىَّ كتاب (المداخَل) فى اللغة لأبى عمر المطرز رحمه الله ، فاستَنْزَرْتُه لقدره ، ولم أحْظَ بهلاله فيه ولا بَدْرِه ، فرأيت أنه رَأْىٌ لم يُسْتَوْفَ تمامُه ، وغرَضٌ لم تُقَرْطِسْه سهامُه ،

ولعله إنما ارتجله ارتجالا وجرت ركائبه فيه عجالا ، فلم يُدَمِّثْ حزنَه ، ولا أقام وزنَه ، ولا استوفى غُرَره ، ولا استقصى دِرَرَه ، فاقتضبها عجالَه ، ووفر دونها سِجَالَه ، فحركنى ذلك إلى صلة ما ابتدأ ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ ، واقتضبتُ فى ذلك خمسين باباً ، افتتحتُ كل باب منها بشعر عربى ، ثم ختمتُ الباب بمثل ذلك ، وأوردت ما أمكن من الشاهد على ألفاظه هنالك . وعلى ذلك فما اعتمدتُ مُجاراة ، ولا قصدت مُباراة ، وإنى لأرى فضل السابق ، وأبْخَع بُخوع الآبق ، وأحمد منه ذلك البدء والعود ، وأستسقى له السَّبَل والجَوْد ، والله أسأل التوفيق فى كل حال ، والعصمة من دعوى تُخِلُّ أو انتحال ، فهو الشديد المحال ، سبحانه .

هذا ، أما (المُداخَل) ، فلم يكن له مقدمة ، بل ابتدأ بعد البسملة بذكر سند رواياته .

الأمر الثالث : أن أبا الطيب لم يتعرض لذكر مُدَاخَل المطرز ، ولم يشر إليه ، ولم يذكر أستاذه محمد بن عبد الواحد المطرز ، إلا ما قد يفهم من قوله (مُدَاخَلَة الكلام بالمعانى المختلفة) ، فلفظة المُدَاخَلَة قد تفهم من عنوان كتاب المطرز .

الأمر الرابع والأخير : ما يتعلق بما جاء فى المقدمة من حصر الشواهد ، فقد ذكر أن الشجرة تتضمن من الشواهد عشرة أبيات ، فلو قال عشرة شواهد ، لكان أقرب إلى الواقع .

وكذلك الفروع فقد قال إن فى كل فرع بيتين ، والحقيقة أن لكل فرع شاهدين . والشواهد عامة قد يكون الواحد بيتاً أو شطرًا ، أو بيتين أو مثلثاً أو مخمَّساً من الأشطار ، فتمييزه لعدد الشواهد بالأبيات غير مطابق للواقع ، كما يتبين من الجدولين التاليين .

(١) جدول شواهد الأشجار

الشجرة وأصلها	عدد الشواهد	بيت	بيتان	شطر	ثلاثة
١ — الصحن	١٠	٧	١	٢	—
٢ — الهلال	١٠	٦	—	٤	—
٣ — الثور	١٠	٦	١	٣	—
٤ — العين	١٠	٦	١	٢	١
٥ — الرؤبة	١٠	٦	—	١	٣
٦ — الشعل	١	—	—	١	—

(٢) جدول شواهد الفروع

الفروع	الشجرة الأولى	الشجرة الثانية	الشجرة الثالثة	الشجرة الرابعة	الشجرة الخامسة
١	بيت وبيت	بيت وبيت	بيت وشطر	شطر وبيت	بيت وشطر
٢	بيت وشطر	بيتان وبيتان	شطر وبيت	بيت وبيت	شطر وبيت
٣	بيت وشطر	بيت وبيت	بيت وشطر	بيت وبيت	بيت وبيت
٤	شطر وبيت	بيت وبيت	شطر وبيت	بيت وبيت	بيت وشطر
٥	بيت ومثلث	بيت وبيت	بيت وشطر	بيت وبيت	—
٦	—	بيت ومثلث	بيت وبيت	مثلث وبيتان وبيت	—
٧	—	شطر وبيت	بيت وبيت	بيت ومخمس	—
٨	—	بيت وبيت	بيت وشطر	بيت وبيت	—
٩	—	بيت وبيت	بيت وبيت	—	—
١٠	—	شطر وبيت	بيت وشطر	—	—
١١	—	شطر وبيت	—	—	—
١٢	—	بيت وبيت	—	—	—

وقد أحصينا هذه الشواهد الشعرية فوجدناها ١٣٠ شاهدًا شعريًّا كان منها ٦٧ شاهدًا منسوبة لقائلها ، والباقى وقدره ٦٣ شاهدًا غير منسوبة . وقد استطعنا بعد البحث نسبة ٢٢ شاهدًا منها ، فأصبح عدد المنسوب ٨٩ والباقى بدون نسبة ٤١ .

الأشجار وفروعها :

نرى فى الجدولين السابقين أن الأشجار ست شجرات ، وأن فروع الخمس المتفرعة تختلف فى العدد ما بين ٤ ، ١٢ فرعاً .

١ ـ فالشجرة الأولى جذرها الصحن : قدح النبيذ ، وهو الإناء المعروف .

وفروعها خمسة وهى :

(١) الصحن : إصلاح الشعب ، أى الصدع .

(٢) الصحن : الإحذاء ، أى الإعطاء .

(٣) الصحن : الضرب ، يقال صحنه مائة سوط .

(٤) الصحن : باحة الدار ، فصحن الدار باحتها .

(٥) الصحن : باطن الحافر من الدابة .

٢ ـ الشجرة الثانية : الهلال : هلال السماء . وفروعها ١٢ فرعاً وهى :

(١) الهلال : حديدة كالهلال يُعرقب بها الصائدُ الحمارَ الوحشى .

(٢) الهلال : ذؤابة النعل ، وهو المتعلق من قبالها على شكل هلال .

(٣) الهلال : قطعة من الإهباء ، وهو الغبار .

(٤) الهلال : ما أطاف بظفر الإصبع من اللحم .

(٥) الهلال : قطعة من الرحا إذا انكسر جزء منها فصارت كالهلال .

(٦) الهلال : سلخ الحية ، أى ثوبها الذى تخلعه .

(٧) الهلال : مقاولة الأجير مشاهرة أى تبعاً للهلال .

(٨) الهلال : المباراة فى رقة النسج .

(٩) الهلال : المباراة فى التهلل .

(١٠) الهلال : جمع هلة وهى المفرحة .

(١١) الهلال : الثعبان ، وهى مسايل الماء .

(١٢) الهلال : بقية الماء فى الحوض تكون كالهلال .

٣ ـ الشجرة الثالثة : الثور : ذكر البقر . وفروعها عشرة وهى :

(١) الثور : ارتفاع الغبرة ، مصدر ثار .

(٢) الثور : ظهور الحصبة وانتشارها .

(٣) الثور : هيجان الجراد .

(٤) الثور : الرجل الرقيع .

(٥) الثور : اهتياج المِرَار .

(٦) الثور : جمجمة القوم ، أى رأسهم .

(٧) الثور : الصبة من الأقط أى القطعة منه .

(٨) الثور : ما ارتفع من الغُثاء على وجه الماء ، مصدر بمعنى اسم المفعول .

(٩) ثور : جبل شامخ .

(١٠) ثور : قبيلة من العرب .

٤ ـ الشجرة الرابعة : العين = عين الوجه ، وفروعها ثمانية وهى :

(١) العين : عين الشمس .

(٢) العين : النقد ، أى الخالص .

(٣) العين : موضع انفجار الماء .

(٤) العين : عين الميزان ، أى ميل لسانه .

(٥) العين : مطرا يقلع أياماً .

(٦) العين : رئيس القوم .

(٧) العين : نفس الشيء .

(٨) العين : الذهب . ولم يذكر فرعاً للعين بمعنى الجاسوس .

٥ ـ الشجرة الخامسة : الرؤبة : الحاجة . وفروعها أربعة وهى :

(١) الرؤبة : جناة شجرة تسمى الزعرور .

(٢) الرؤبة : الجمام من الفحل .

(٣) الرؤبة : قطعة من اللبن الحامض ، بدون همز .

(٤) الرؤبة : قطعة من الليل .

٦ ـ الشجرة السادسة : النعل : الصلب من الأرض ، ولا فروع لها .

وقد جاء فى نسخة السيوطى وحدها قبل تفسير النعل ست جمل فى أول هذه الشجرة فيحسن تسميتها بالصِّنَّبْر بدل النعل .

طريقة أبى الطيب فى « شجر الدر »

نجمل القول فى أن المتداخل بالمعانى المختلفة يدل على سعة اللغة وكثرة مفرداتها وتعدد معانى ألفاظها . فالترادف ، أو ما أسميه الاشتراك المعنوى ، وهو التعبير عن المعنى الواحد بعدة ألفاظ تجتمع كلها فى بؤرة هذا المعنى ، يقابل الاشتراك اللفظى ، وهو دلالة الكلمة الواحدة على عدة معان ، بعضها على سبيل الحقيقة وكثير منها – وهو ما عدا ما أراده الواضع الأول من سائر المعانى – يكون مجازاً . وكلا الترادف والاشتراك يزيد فى عدد المفردات وكثرة مدلولاتها .

أما التضاد ، وهو من خصائص اللغة العربية الواضحة ، فيدخل فى باب الاشتراك اللفظى ، بشرط أن المعانى المتعددة للكلمة الواحدة تكون متضادة أو متناقضة . ويعجبنى ما أشار إليه بعضهم من أن اللغة العربية أجدر بأن تسمى لغة التضاد لا لغة الضاد . ويضاف إلى الاشتراك بنوعيه أو أنواعه الثلاث المذكورة (من الترادف والاشتراك اللفظى والتضاد) الاشتقاق بأنواعه الثلاثة المعروفة ، الصغير والكبير والأكبر ، حتى تظهر كلها عاملة من عوامل نمو اللغة .

ولا بد لمن يتعرض للتأليف فى المتداخل ، أن يحيط بها جميعاً ، ويتمكن من اللغة – ألفاظها ومعانيها حتى تطاوعه وتساير أساليبه وتفسيراته التى قد يظهر بعضها غريباً . ذلك لأنه يغوص فى بحر المعجمات فيصيد منها العجائب والغرائب مما لا يخطر على بال طالب اللغة ، أو المشتغل بها اشتغالا جديراً بأن ندعوه دراسة سطحية .

وإن نظرة عابرة فى (مُداخَل) أبى عمر المطرز ، وهو شيخ أبى الطيب ، صاحب « شجر الدر » تطلعنا على شطحات له فى المترادف خاصة ، تنبئ بمقدرته وإلمامه واطلاعه الواسع ، ونذكر على سبيل التمثيل ما يأتى : قال فى آخر باب العريج[1] :

(١) من النسخة جيدة الخط رقم ٢٢٩ بدار الكتب ضمن مجموعة بها سبعة كتب .

والقطع : الخنق . وأخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابى ، قال : يقال : خنقْتُه ، وقطعْتُه ، ودَرَعته[١] ، وردَمْته ، وزِعْته[٢] ، وذِعْته[٣] ، وفَطَأْته[٤] ، وحَلْقَمتُه[٥] ، وسأَبْته[٦] ، وذعطْته[٧] ، وسَأَتُّه[٨] ، وزردَمْته[٩] ، وزرْدَبته[١٠] وحذلته . وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابى فى سأَبْتُه :

ولا تزال بكرة تغاره يَسأَبها بحبله عُماره اهـ

وكذلك ما تراه فى باب الحجال بعد ذلك .

وما عدا المترادف من الحقيقة ، والمجاز والاشتراك والاشتقاق فقد نلمسه فى ثنايا كتاب « المُداخَل » كما نشعر به فى « شجر الدر » .

وقد حذا أبو الطيب حذو أستاذه فى هذه الفنون ـ عدا كثرة المترادف وزاد عليه ، بالتحايل على خلق تداخل المعانى ، بأَساليب كثيرة ، نوضحها بالأَمثلة الآتية :

أولاً : الاشتراك

ذكرنا فى الباب السابق (مضمون شجر الدر) أن شجرة الصحن قد تفرعت إلى خمسة فروع أى أن لفظة الصحن اشتركت فى خمسة معان ، وأن لفظة الهلال ذات معان وصلت إلى ١٢ ولفظة الثور ١٠ ، والعين ثمانية .

---

(١) درع رقبته : فسخها من المفصل من غير كسر (كما يحصل للمشنوق) .
(٢) زاع له زوعة من البطيخ : قطع له قطعة .
(٣) الذوع : الاجتياح والاستئصال .
(٤) فطأه : حطأه ، وحطأ به الأرض : صرعه .
(٥) حلقمه : قطع حلقومه أى حلقه .
(٦) سأبه : خنقه أو حتى قتله .
(٧) ذعطه : ذبحه ، وموت ذعوط : سريع .
(٨) سأته كسمه : خنقه .
(٩) زردمه : خنقه أو عصر حلقه
(١٠) وزردبه : خنقه .

وقد تفرعت شجرة الرؤبة إلى خمسة فروع . ومع هذا فهل كل ما هنالك هو هذه المعانى أو الفروع ؟ لا نطيل بالتعليق على هذه الأبواب أو الأشجار ؛ وإنما نحيل إلى ما جاء فى الهامش رقم ١ من شجرة الرؤبة من الكتاب ، حيث نجد كثيراً من المعانى لكلمة الرؤبة مهموزة وغير مهموزة .

وجملة القول فى هذه الفقرة ، أن أساس وضع كتاب « شجر الدر » أولاً هو الاشتراك اللفظى ، بتبويب الأشجار وفروعها .

ثانياً : التسلسل

أما بعد هذا الأساس فنجد أبا الطيب عول كثيراً فى كتابه على تسلسل المعانى وذلك بتفسير اللفظة بلفظة ثانية والثانية بثالثة وهكذا ، أو بعبارة أخص على تفسير المفرد بمفرد مثله كما ترى فى أول شجرة الصحن حيث يقول :

الصحن : قدح النبيذ ، والنبيذ : الشىء المنبوذ ، والمنبوذ : اللقيط ، واللقيط : النوى ، والنوى : الشحط ، والشحط : الذبح ، والذبح : الشق ، والشق : النصب إلخ .

ولكن هل سار المؤلف فى جميع الأشجار والفروع على هذا المنوال ؟ نرى أنه من عجزه عن هذا التسلسل المباشر ، فى الكتاب كله ، بل من تمكنه فى اللغة ، أنه كان يلجأ فى الشرح والتفسير إلى التغيير لالتماس اللفظة الجديدة .

وإليك مثلاً لهذا فى صفحة ٧٣ حيث يقول :

والبغى : ترامى القرح إلى الفساد ، والقرح : جمع أقرح ، والأقرح من الخيل ، وهو الذى فى جبهته بياض لا يبلغ لون غرة ، والغرة : الوجه إلخ .

لعلك تراه هنا قد قفز من البغى إلى الغرة بمعنى الوجه فشرح الأقرح من الخيل واحتال حتى وصل إلى الغُرَّة .

وهذه أمثلة أخرى : جاء فى صفحة ١٦٣ :

والزوج : النمط من فرش الديباج ، والفَرْش : أفتاء الإبل ، من قوله تعالى : ومن الأنعام حمولة وفرشاً ، والإبل ، قال المفسرون فى قوله تعالى : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ قالوا : الغيم .

وجاء فى صفحة ٢٠٥ : والأنفية : حجر من أحجار المنجنيق ، وحجر : اسم رجل ، وبه سمى أبو أوس بن حجر ، والأوس العطاء ، ومنه قول النابغة الجعدى :

ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإله هو المستآسا

هذه الأمثلة وكثير غيرها مما جاء فى الكتاب ، يدل على سعة فى الاطلاع ومعرفة المعانى المختلفة الكثيرة ، وتضلع فى اللغة ، مع مطاوعتها للمؤلف فى التحايل فى السير فى تداخل المعانى المختلفة .

ثالثاً ـ الحقيقة والمجاز

ولا بد أن نشير إلى أن أصحاب المتداخل ـ ومنهم أبو الطيب ـ لم يفرقوا بين المعانى الحقيقة والمجازية فيما ذكروا من الشرح والتفسير .

ولأضرب أمثلة ، لما جاء فى شرحه مجازًا ، مذكورة بدون إشارة إلى مجازيته :

ص ٨٥ الإبل : الغيم ، ص ٩٢ ، ١١٥ ، ١٩٧ النخل : الإخلاص ، ص ١٠٠ الأذن : الرجل السليم القلب ، ص١١٧ ، الإصبع : الأثر الحسن ، ص ١٤٤ الأصابع : الفواضل من الله عز وجل ، ص ١٤١ الصدر : الرئيس ، ص ١٦٢ الرجْل : العهد ، يقال كان ذلك على رِجْل الحجاج أى عهده ، ص ١٧٧ الأرض : قوائم الدابة قال الشاعر :

إذا ما استحمت أرضُه من سمائه جرى وهو مودُوع وواعِدُ مصدق

ص٢٣٦ البسرة : الجارية الرطبة البدن .

رابعاً ـ الاشتقاق

لم يكن أبو الطيب عاجزًا عن استخدام الاشتقاق فى شرحه وتفسيره ، فنراه قد استخدم الفعال والمفاعلة ، والمصدر بمعنى اسم المفعول ، وفعيل بمعنى فاعل ومفعول ، وأسماء المكان والمصدر الميمى ، والمصدر بمعنى الجمع إلخ حتى ينفسح له المجال فى تصيد التداخل . والأمثلة مبثوثة فى الكتاب نجتزئ منها باليسير الآتى :

ص ١٢٣ الأزوار : جمع زَوْر وهم الزائرون .

ص ١٣٠ الجزيرة : المنحورة ، والمنحورة : المستقبلة

ص ١٦٧ الحزام : مصدر تحازم الرجلان ، إذا تباريا أيهما أحزم للخيل أى أحذق بحزمها .

ص ١٩٤ والمجاهرة : مباراة الرجلين أيها أجهر صوتاً إلخ .

ص ٧٩ النبى : الرباوة من الأرض ، ١٦٢ النبى : التل العالى.

ص ١٦٧ ، ١٨٩ الطلب والقوم مصدران بمعنى الجمع .

ص ١٥٨ الرئيس : المصاب فى رأسه بسهم .

ص ١٨٣ الرئيس : المصاب فى رأسه بعصا أو غيرها .

خامساً ـ اختلاف التعبير فى التفسير

كثيرًا ما يغاير أبو الطيب فى شرح الكلمة الواحدة ، التماساً للمعانى والمفردات الجديدة ، وطلباً لبيان التداخل ، والأمثلة كثيرة نذكر منها قليلا :

ص ١٥٨ والشامخ : الذى يظهر التيه ، يقال ، شمخ بأنفه ، والتيه : الضلال .

ص ٢١٦ والشامخ : التائه ، والتائه : الذى ليس بمهتد ، والمهتدى المؤمن ، والمؤمن : من أسماء الخالق عز وجل ، والخالق : المقدر إلخ .

ص ١٦٥ الراهب : المتخوف

ص ٢١٩ الراهب : الحاذر

ص ٨٢ النار : الوسم وص ٢٠٥ النار : السمة .

ص ٢٤٤ النار : سواد يبقى فى الأثافى .

ص ١٠٠ الأذن : الرجل السليم القلب .

ص ١٧٢ الأذن : الرجل القابل لما يسمع .

وبالنظر إلى ما يلى هذه التفسيرات نراه يفرّع عليها فى بيان ألفاظ جديدة ، كما ترى عند الرجوع إلى الكتاب .

ومن هذا القبيل : الاختلاف فى رواية الأبيات جرياً مع الشرح والاستطراد، كما فى بيت الأعشى الوارد بصفحتى ٧٤ ، ١٢٧

ص ٧٤ أغر أبلج يستسقى بغرته لو صارع الناس عن أحسابهم صرعا

ص ١٢٧ أغر أبلج يستسقى الغمام به لو صارع الناس عن أحسابهم صرعا

هذا ومما يصح أن نختم به هذا الفصل ، الإشارة إلى ما حوى كتاب « شجر الدر » من مادة لغوية صحيحة ، يجب أن توضع تحت أنظار الباحثين ، وأعتقد أن ما قمت به من التعليق والشرح ، قد يساعد المتبحرين على دراسات للغة عميقة ، دراسة فقلغية[1] لهذا الكنز اللغوى المطمور ، ويكفينى أن أجليه للعيان ، والله وحده ، على إظهاره ونشره ، هو المستعان .

---

(١) فقلغية : منحوتة من كلمتى « فقه اللغة » .

لماذا عُنيت بهذا الكتاب

هذا ـ على ما أعتقد ـ أول سؤال ، أو آخر سؤال ، يصح أن يوجه إلى ناشر هذ الكتاب ـ وأمثاله ـ كائناً من كان .

أذلك لأن فن المتداخل أو المسلسل من الفنون الطريفة ؟

أو لأنى أريد إظهار سعة اللغة بكثرة مرادفها ومشتركها ؟

أو أنا أبغى من وراء ذلك إظهار فضل قدائم المؤلفين ، ومقدرتهم فى نظم سموط المفردات فى قلائد عجيبة ؟

أو هى دراسة محببة إلى نفسى ، وأريد أن تُشرب النفوس حُبها ؟

فأردت أن تنشر حتى ينتفع بها طلاب اللغة !

أو أنى وقفت على أسرار فى اللغة العربية وأريد إفشاءها ؟

أو أن لى مذهباً خاصاً فى دراسة اللغة أريد الإغراء به والتشجيع عليه ؟

أو أن « شجر الدر » يحمل سرًّا خفيًّا ، أريد أن أبوح به وأطلع الناس عليه ؟

قد يكون هذا كله ، وقد لا يكون شيء من هذا ؟

هى حيرة أتردى فيها ، كما يتحير الماء فى شعاب الجبال ، أو كما تسير الثعبان عند مسيلها إلى الوادى ! ما هو السر فى نشر هذا الكتاب الذى يحمل أغرب الأسماء أو أبهرها وأعجبها ؟

هى ذكريات ، بل أحلام وأمانى ، كانت تجيش بصدرى مذ كنت أدرس فقه اللغة بدار العلوم (قبل سنة ١٩٣٨) ويوم خرجت منها كما خرج موسى من أرض مصر .

والآن ! وقد هيأ الله لى ، وقد بلغت من الكبر عتيًّا ، كما هيأ لنوح من قبل ، أن أرسى بسفينتى على شاطئ البحث عن كنوز اللغة العربية ، وأرمى بشبكتى : إذ أرى دُرَّ اللغة قد نمت فروع شجراته فى قاع اللجّى ، وإذا بى أمام جزيرة

فيها اللؤلؤ اللغوى والمرجان العربى ، وقد تفتحت أصدافه ، وصفا معدنه ، ونظمه أبو الطيب أحسن مما سبقه أستاذه أبو عمر الزاهد فى « مُداخَله » .

وإنه ليدور بخلدى ، ما يبديه بعض المعترضين ، على نشر هذا الكتاب ، الذى أقدمه اليوم ، ويقوى هذا الاعتراض ، ما كنت أعلنه أحياناً ، من أن اللغة كالنقد أو العملة ، يجب أن يُنْتفع بها فى التداول ، ويستعان بها على شراء الحاج والمتاع . ولكن طغى على هذه الفكرة أن اللغة القديمة ، أو التراث اللغوى ، يجب على المشتغلين باللغات أن يرعوه ، ويوالوا ترميمه وتطعيمه ، وتجديده وتبهيجه ، كما يفعل حفَظة الآثار ، فى تجليتها للناظرين ، وتهيئتها للمنتفعين ، من الفنيين وغير الفنيين . على أنها نوع من الدراسة قد تكون متعة ، وقد تكون تسلية لمن يتسع وقتهم لمثل هذه الأعمال، الكمالية ، فى نظر من لا يسلمون بضرورتها ، أو قيمة الانتفاع بها .

وبعد هذه المقدمة الطويلة أرى لزاماً على أن أحاول الكشف عما يجول بخاطرى فأجمل القول فى عبارة مختصرة ، هى :

إن اللغة العربية فى حاجة إلى تجريدة من الباحثين ، كل فى فرع خاص وناحية معينة فما ذكرت فى صفحة (١٢) تحت عنوان « واجب الجيل الحاضر » فأكرر هذه الكلمة هنا ، وأؤكدها بكل قوة ، وأذكر أنى حاولت شيئاً من هذا ، بإنشاء « قاعة البحث اللغوى » فى دار العلوم ولكن الحظ العاثر لم يساعد على المضى فيه ، فأدعو الله من صميم قلبى أن يهيىء للغة العربية من شباب الناشئة وشيوخها ، ومعاهد العربية ، والمجمع ، ما يأخذ بيدها فى هذه الدراسة ، والله ولى التوفيق

محمد عبد الجواد

السبت ٢ من المحرم سنة ١٣٧٥ هـ
٢٠ من أغسطس سنة ١٩٥٥ م
الجيزة ٢٢ شارع أحمد ماهر « باشا »